العرب
الجمعة 2019/11/08
السنة 42 العدد 11522

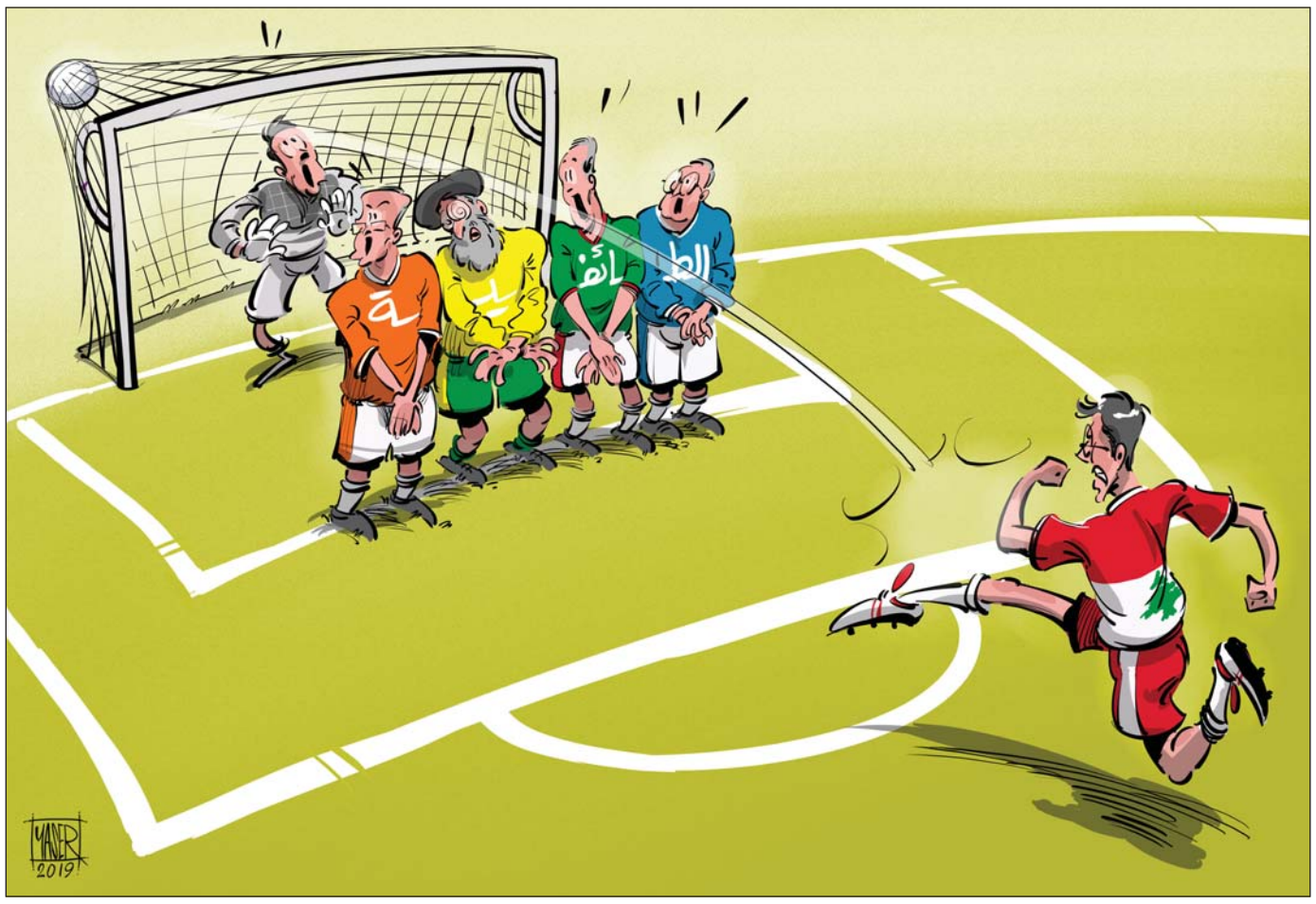

من «حقوق المسيحيين» إلى حقوق اللبنانيين

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

جديد لبنان، بكل بساطة، أنّ هناك جيلا شابا يرفض استمرار النظام القائم الذي قام على تحوير اتفاق الطائف وإلغاء مضمونه وتطبيقه على الطريقة السورية ثم الإيرانية. تبيّن أن هذا النظام غير قابل للحياة بعدما أثبت أن ليس لديه حلول لأي مشكلة يعاني منها البلد وأنّه وريث حقيقي لنظام الميليشيات الذي خلفته الحرب الأهلية.

لن يدخل معك هذا الجيل اللبناني الجديد في نقاش يتناول المسؤوليات عن سبب وصول البلد إلى حافة الإنهيار المالي. على الرغم من ذلك كلّه، يمكن اعتبار أبناء هذا الجيل رمزا للصمود في وجه كل ما تعرّض له البلد منذ توقيع اتفاق القاهرة المشؤوم في العام1969، وما تلا ذلك من مآس وصولا إلى الوضع الراهن الذي بات "حزب الله" يختار فيه من هو رئيس الجمهورية المسيحي. يفرض الحزب أيضا القانون الانتخابي الذي لا بدّ من اعتماده للإتيان بأكثرية تفرض تشكيل حكومة لا مكان فيها لفريق عمل متجانس يعرف معنى ما يدور في العالم وكيف حماية لبنان من العقوبات الأميركية المفروضة على إيران وأدواتها وأذرعها.

يبدو أن هذا الجيل يبحث عن حلول للمشاكل الآنية، من قضاء على البطالة، إلى الماء والكهرباء والنفايات والفساد على كلّ المستويات وما هو مرتبط بكلّ هذه المواضيع. يبحث هذا الجيل عن حلول عن طريق مدخل طبيعي هو حكومة محايدة ذات هموم لبنانية. حكومة لا تريد تحرير القدس ولا تريد العمل من أجل استعادة حقوق المسيحيين. حكومة تريد استعادة حقوق اللبنانيين. حكومة ترفض الحلف الذي يجمع بين التجارة بالقدس وشعارات "المقاومة" و"الممانعة" وبين المتاجرين بحقوق المسيحيين، علما أن الحقّ في ذلك ليس على المتاجرين بهذه الحقوق بمقدار ما أنّه على العدد الهائل من المسيحيين الذين يعتقدون أن لديهم حقوقا انتزعت منهم. لا يدري هؤلاء أن هذه الحقوق لا وجود لها إلا في عقول مريضة لا تريد الاعتراف بأنّ من هجّر أكبر عدد من المسيحيين من لبنان في العامين 1989 و1990 كان من افتعل حربي "الإلغاء" و"التحرير"، وكانتا حربين على المسلمين ثمّ على المسيحيين الآخرين...

هناك طاقم سياسي يرفضه الجيل الشاب الذي نزل إلى الشارع وباشر ثورة حقيقية ليس معروفا ما الذي ستكون عليه نتائجها وإلى أين ستوصل لبنان. كلّ ما هو معروف أنّها ثورة حقيقية يعبّر من خلالها الشباب اللبناني عن رفضه للمذهبية والطائفية وحلف الأقلّيات وعن وجود رابط ما زال يجمع بين اللبنانيين.

كلّ ما يمكن قوله أيضا إنّ هذه الثورة يمكن أن تخمد مؤقتا ولكن لا مجال لوقفها في المدى الطويل. هذا عائد إلى أنّها ثورة عميقة أكدتها الشعارات التي خرج بها الذين نزلوا إلى الشارع. أطلق هؤلاء شعارات تجاوزت كل السياسيين في وقت يعتقد الزعماء التقليديون، من حسن نصرالله، إلى ميشال عون، مرورا بالآخرين، بما في ذلك معظم الزعماء السنّة، أن شيئا لم يتغيّر في لبنان.

ما حدث أن الشباب الشيعي لم يعد تهمّه "المقاومة"، فيما الأهل سئموا من ترديد الشعارات الفارغة التي تغطي الرضوخ لـ"حزب الله" ومشيئته. هذا ما ظهر جليّا قبل نحو شهرين عندما أعلن "حزب الله" أنّه سيضرب في الداخل الإسرائيلي ردّا على غارة استهدفت عناصر له في داخل الأراضي السورية. كان ردّ الناس العاديين في جنوب لبنان بدء النزوح في اتجاه مناطق أخرى. ليس هناك من يريد الصمود وتحمّل ما تحمّله في الماضي. هناك من يتذكّر حرب صيف 2006 وما أتت به من ويلات على لبنان واللبنانيين وعلى أهل الجنوب تحديدا.

فاجأ الشباب اللبناني الجميع وذلك على الرغم من التعتيم على ما يجري في جنوب لبنان وعلى الرغم من القمع الذي يتعرّض له كلّ من تجرّأ على تحديد مواقع الفساد والأشخاص الذين امتهنوا "التشبيح" والاستيلاء على موارد الدولة بكل الوسائل الممكنة.

هناك جديد يولد من رحم ثورة الشباب اللبناني. ما ينقص حاليا ليس حماسة الشباب إلى التغيير بمقدار ما أن الحاجة إلى بلورة مشروع سياسي انطلاقا من

حكومة جديدة.

يمكن لهذه الحكومة إثبات أنّ في لبنان رجالا مؤهلين فعلا لاستعادة حقوق اللبنانيين بعيدا عن الحسابات الإيرانية والسورية وحسابات الوصول إلى رئاسة الجمهورية بسلاح "حزب الله" واللعب على وتر حقوق المسيحيين.

سيعتمد الكثير على النقلة النوعية التي ستتحقق في حال تشكيل حكومة جديدة تضم كفاءات. لا ينقص لبنان الرجال الذين حققوا نجاحات في ميادين معيّنة، لكنّه اختار، للأسف أسوأ نوع من الوزراء لإدارة شؤون البلد في إحدى أدقّ المراحل التي يمرّ فيها منذ الاستقلال.

> يريد هذا الجيل حكومة ترفض الحلف الذي يجمع بين التجارة بالقدس وشعارات «المقاومة» و«الممانعة» وبين المتاجرين بحقوق المسيحيين

آن أوان انطلاق الثورة إلى آفاق جديدة يكون البحث فيها عن خطوات واقعية مطلوب الإقدام عليها بعيدا عن عقد الماضي من نوع الخلاف على بيان وزاري يناسب "حزب الله" المصرّ على صيغة "الشعب والجيش والمقاومة" وذلك لتبرير الاحتفاظ بسلاحه غير الشرعي الذي ليس سوى وريث السلاح الفلسطيني.

هناك أيضا تحديات أمام الثورة اللبنانية وأمام الذين نزلوا إلى الشارع مطالبين بأبسط حقوقهم. لعلّ التحدي الأوّل يتمثّل في تحديد الخطوات الواقعية التي لا تراجع عنها. المدخل حكومة جديدة على رأسها من يستطيع التعاطي مع القوى العربية والدولية القادرة على التأثير في تحسين وضع الاقتصاد ومنع الانهيار، أي القوى التي تستطيع مساعدة لبنان على تفادي السقوط ضحية العقوبات الأميركية على إيران و"حزب الله".

الأكيد أن التخلّص من الشعارات الطنانة من نوع "تحرير القدس" ومن نكتة اسمها "حقوق المسيحيين" وإحلال حقوق اللبنانيين مكانها خطوة كبيرة إلى الأمام في لبنان. من هذا المنطلق، يبدو ضروريا البحث عن الخطوة التالية التي تمرّ حتما بحكومة متجانسة معقولة ومقبولة لا يكون فيها شخص مثل جبران باسيل ومن على شاكلته؟

في كلّ الأحوال، دخل لبنان مرحلة جديدة، خصوصا بعدما تبيّن أن لا عودة إلى الماضي القريب الذي فرض تشكيل حكومة مثل الحكومة المستقيلة التي كانت برئاسة سعد الحريري. الثابت أن سعد الحريري نفسه يدرك ذلك وأن التغيير العميق بدأ. إذا لم يحصل هذا التغيير العميق الآن، سيحصل في مرحلة لاحقة. هناك بكل بساطة تجاوز لما كان يعتبر في الماضي ثوابت لبنانية، بما في ذلك الانتماء إلى الطائفة بدل الانتماء إلى لبنان.

هل يولد لبنان من جديد، أم يتولى القضاء عليه وعلى الأمل بعودته إلى الحياة ذلك التحالف المشين القائم بين المتاجرين بـ"المقاومة" وبـ"حقوق المسيحيين"؟

إيران تصعّد نوويا: لماذا صمت إسرائيل؟

محمد قواص
صحافي وكاتب سياسي لبناني

تعمل إيران على الإيحاء بأنها ممسكة بزمام الأمور فيما أوراقها تتساقط الواحدة تلو الأخرى. يتصرف العالم وفق روحية الصبر والتمهل، تاركا للضغوط المتوالية أن تُحدث فرقا نوعيا في قواعد مقاربة "الحالة" الإيرانية. وفي هذا إن العالم متحرك ذو دينامية شديدة الحيوية، فيما طهران تدور حول نفسها، وتكرر عناوينها، وسط ارتباك واضح في التصدي للتطورات التي اجتاحت ميادين نفوذها الأساسية في المنطقة.

تسعى طهران لمداهمة العالم بضجيج يُراد منه إخافة العواصم من احتمال عبور الجمهورية الإسلامية نحو العصر النووي. يخرج رئيس الجمهورية الإيرانية حسن روحاني بالإعلان عن وجبة جديدة تُسقط طهران من خلالها بنودا جديدة من الاتفاق النووي. يعلن الرجل أن أنشطة مفاعل فوردو لم تعد مقتصرة على أعمال البحث وفق اتفاق فيينا، وأن أجهزة الطرد التي كان ممنوعا عليها تخصيب اليورانيوم، ستتحول إلى آلات ترفع من قدرة إيران على التخصيب بمعدلات لا تسمح بها الصفقة التي سهر الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما طويلا على نسجها وإبرامها.

تسجل الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن إيران بدأت تخصيب اليورانيوم بنسب تتجاوز المسموح به (3.67 بالمئة)، وأن أجهزتها تسعى لتجاوز عتبة الـ5 بالمئة. في التفاصيل التقنية إن إيران تنتج اليورانيوم المخصب وتُراكم كمياته بأحجام تتجاوز أيضا ما تتيحه اتفاقية عام 2015 (300 كيلوغرام من المخزونات). يبتسم روحاني ومن ورائه وزير خارجيته محمد جواد ظريف وخلفهما مرشد "الثورة" علي خامنئي. تنتشي طهران بـ"جرأتها" لعل في ذلك ما يقنع الرأي العام في إيران، كما ذلك لدى ميادين محور الممانعة، بأن نظام الولي الفقيه يمضي قدما في مقارعة الاستكبار وتقويض جبروته.

بيد أن نظام إيران يعرف أن العالم يعرف أنه ممنوع عليه اختراق خطوط حمر، وأن ما فرضته الاتفاقية بين إيران ومجموعة الـ5+1 يبقى بعيدا عن تلك الخطوط. لن يخاف العالم من أعراض مقلقة تصدر من إيران إلا إذا ذهبت إيران باتجاه تخصيب عالي المستوى وجب أن يصل إلى 95 بالمئة حتى تتحول أغراضه إلى عسكرية بإمكانها إنتاج قنبلة نووية. وما بين معدلات التخصيب "الثورية" (أقل من 5 بالمئة) التي تصدح بها منابر إيران في إيران وخارجها، ومعدلات إنتاج سلاح دمار شامل، بون شاسع لن تسمح به الصين وروسيا قبل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي.

لم تعمل إدارة أوباما على دفع العواصم الكبرى إلى الانخراط في اتفاق مع إيران حول برنامجها النووي، إلا لتجنب حرب كبرى تعمل على حرمان طهران من صناعة قنبلة نووية.

كانت واشنطن تسعى لطمأنة إسرائيل ومنعها في الوقت عينه من القيام بضربات عسكرية جراحية تبعد الخطر النووي عنها. لم تكن همّة أوباما تحرص على تجنيب إيران والمنطقة الحرب الكبرى، بل كان همُّه ينصبُّ على تجنيب الولايات المتحدة حربا ستضطر إلى خوضها إذا ما تحولت ضربات إسرائيل الوقائية إلى حرب شاملة. وعلى هذا فإن أي محاولة تلجأ بها إيران للهرولة نحو القنبلة النووية، ستقابل بردّ ناري دولي فوري شامل. إيران تعرف ذلك، والعالم يعرف أن إيران تعرف ذلك.

يجدر في هذا السياق التنبه إلى صمت إسرائيل حيال ما تريد إيران أن يُحدث جلبة كبرى، خصوصا لدى الإسرائيليين. ينكشف بشكل واضح أن "الخطر" الإيراني على أمن إسرائيل لم يكن حقيقيا، وأن إسرائيل كانت تنتشي بما يصدر عن منابر الحرس الثوري من تهديدات بإزالة إسرائيل عن الخارطة، وتعيد تسويق ذلك داخل منتجاتها الدبلوماسية في أسواق العالم. وواضح أن التهديدات التي كان يطلقها بنيامين نتنياهو لشن حرب ضد إيران ومنعها من تهديد أمن إسرائيل بالسلاح النووي المقبل، لم تكن إلا ابتزازا يمارسه لأغراض المنافسة السياسية داخل إسرائيل، كما لأغراض تحسين وضعه ووضع بلاده داخل المجتمع الدولي.

كانت "شراسة" إسرائيل المزعومة تتعاظم على خلفية معدلات تخصيب متواضعة وعلى قاعدة عدم قدرة وكالة الطاقة الذرية على إصدار تقارير دقيقة، وعلى خلفية ما يصدر عن طهران من جرعات وعيد لتغذية خطابات الضرورة. بيد أن هذه الشراسة مفقودة هذه الأيام في وقت تعلن فيه إيران رسميا، وعلنا، وعلى لسان أعلى المراجع، أنها تعمل على رفع نسب التخصيب وتخزين اليورانيوم، وهو أمر مفترض أن تخشاه إسرائيل، لما قد يخفي من سلوكيات نووية خفية لا يُفصح عنها مرشدٌ أو رئيسٌ أو وزير.

وعلى هذا، فإذا كانت إسرائيل غير مكترثة للانتهاكات التي تجاهر بها إيران للاتفاق النووي، فإن العالم، على الرغم من النفاق الذي يبديه عن قلق من مغبة خفض طهران لالتزاماتها، ما زال بعيدا عن اعتبار "جرأة" روحاني وصحبه مهددة للستاتيكو العالمي الراهن. وعلى هذا أيضا فإن العواصم في تقييمها للموقف من إيران، باتت تكثف النظر إلى إيران والعراق ولبنان بصفتها ميادين إيرانية مشتعلة تنذر بانتهاء "زمن إيران" في المنطقة، والعالم.

ينبغي أيضا ملاحظة أن العالم يتعاطى مع التطورات في البلدان الثلاثة (تاركا لروسيا معالجة أمر الميدان الإيراني في سوريا) بصفتها شأنا مرتبطا مباشرة بمستقبل الحجم الإقليمي لإيران في الشرق الأوسط. وفيما تعوّل طهران كثيرا على هذا الثقل، الذي يكاد العالم يعترف به لها، فإن حراك الشارع في العراق وفي لبنان، كما استعادة الشرعية اليمنية لزمام الأمور (بعد الاتفاق الذي تم إبرامه برعاية السعودية مع المجلس الانتقالي الجنوبي)، يصدّع شكل وهياكل النفوذ الإيراني في الدول الثلاث. والظاهر أيضا أن طهران التي تعيد وتكرر وتلح بأن اليمن مفتاح لأي حوار بين الخليج وإيران، تدرك في الساعات الأخيرة، أن رهانها على تحول الصراع هناك إلى رباعي، ما بين الحوثيين، وحزب الإصلاح، والمجلس الانتقالي الجنوبي، وحزب المؤتمر الشعبي، قد انهار تماما، وعادت بوصلة الصراع إلى مربعها الأول بين يمن الدولة ويمن الميليشيا.

> صمت إسرائيل حيال ما تريد إيران أن يُحدث جلبة كبرى، خصوصا لدى الإسرائيليين يكشف بشكل واضح أن «الخطر» الإيراني على أمن إسرائيل لم يكن حقيقيا

تكشف المرونة الطارئة التي داهمت مقاربة حزب الله وزعيمه السيد حسن نصرالله للأزمة التاريخية في لبنان، كما ارتباك كل أحزاب العملية السياسية التي تحكم العراق منذ عام 2003 (بما في ذلك لعب رئيس الحكومة عادل عبدالمهدي على وتر غياب البدائل في حال استقالته)، أن إيران باتت عاجزة عن معالجة معضلاتها بسلاح المكر والقوة. لم تعد الشيعة السياسية في العراق، كما في لبنان، سلاح إيران الضارب في المنطقة. يبدو واضحا في العراق أن التمرد شيعي بامتياز على واجهات الهيمنة الإيرانية داخل نظام بغداد، فيما أن شيعة لبنان ينضمون إلى طوائف البلد الأخرى في تعرية "فائض القوة" التي يملكها حزب الله الذي يقلق ربما إسرائيل، لكنه لا يرعب المتظاهرين العزل في شوارع البلد.

يخفت وهج إيران في العواصم التي سبق لطهران أن أعلنت سيطرتها عليها. وتعيد الجمهورية الإسلامية تسليط الضوء على طهران فقط، لعل في تهديد روحاني ووعيد خامنئي ما يمكن أن يوقظ إسرائيل وينبه العالم إلى أخطار لا يراها العالم أخطارا.